

بواكير الاتجاه الصوفي عند الكرامية وصلته بالملامتية

Early Sufi trends of the Karamiyya and its connection to Al Mulamtia

Adel Salem Atiya Gad Allah | عادل سالم عطية جاد الله[1]

(١) كلية دار العلوم- قسم الفلسفة الإسلامية، جامعة الفيوم، البريد الإلكتروني:asa13@fayoum.edu.eg

ملخص البحث:

حاول هذا البحث إظهار الجانب الصوفي والميول التزهدية لمدرسة الكرامية، وتطرق إلى تحديد موقف الكرامية من العمل والكسب المادي، ومسألة الولاية.

واستدل على الملامح والقسمات التي تجمع بين الصوفية والكرامية عن طريق الخانقاه وأثرها التربوي والاجتماعي، وحلقات الذكر، ونمط الملبس. ثم أبرز أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكرامية والملامتية.

الكلمات المفتاحية: ابن كرام- الكرامية- التصوف- الملامتية- الولاية.

Abstract:

This research attempted to show the sufi side and ascetic tendencies of the karamia, and touched o determining the Karamia Position on work and earning , Awliya.

And inferred the features the combine Sufism and Karamia through al khanaqah, and its educational and social impact, halaquat Adhikr, ascetic tendencies of the Karamia school.

Then show the Points of agreement and difference between Karamia and Al Mulamtia.

Key words: Ibn Karam- Karamia- Sufism- Al Mulamtia- Awliya.

مقدمة:

أحسب أنّ الباحث الذي يتطرق إلى التفتيش والبحث في مذهب الكرامية (نسبة إلى مؤسسه المتكلم الزاهد محمد بن كرام السجستاني ت. ٢٥٥هـ/٨٦٨م) تعترضه عقبة النصوص المؤيدة والداعمة لما يرمي معالجته والبرهنة عليه؛ ونظرًا لانعدام المؤلفات الخاصة بالمذهب الكرامي تقريبا، فغالبا لا مفر من البحث والتنقيب في كتب الفرق والطبقات وغيرها[٢].

والناظر في تلك الكتب المشار إليها يجد كمًّا كبيرًا من مقالات المخالفين وإلزامات الخصوم، الذين تفننوا -جهلًا أو قصدًا- في ذكر هرطقة الكرامية وحماقاتهم ومخازيهم دون التعويل -كما يبدو لأول وهلة- على نصوص صريحة مؤيدة لما يزعمون، بالإضافة إلى تشويه المذهب والطعن فيه، عن طريق وسم مبادئ المذهب الكرامي وتعاليمه بالغلو والانحراف تارة، والسطحية والنصية تارة أخرى، حتى غدا لقب "المجسمة"[٣] ضربة لازم لهم.

وبعيدًا عن هذا التحامل المذهبي على الكرامية، وعدم تقدير أهمية هذا المذهب وحركيته وتطوره[٤]، ورغم تعرضهم إلى الحذف من ذاكرة التاريخ تقريبا، فإنّ المصادر المؤرخة -تصريحا وتلميحا- للمذهب الكرامي يُستنبط منها عدد من المعطيات والمعلومات التي ربما تُكسب هذا البحث قدرًا من الأهمية ومعدلا من المنطقية، وذلك في الملاحظات والأمور التالية:

تشيرُ المصادر والمؤلفات إلى حياة الزهد والورع والتقشف ونبذ الأشياء الدنيوية، والتي عاشها رجال الكرامية، كابن كرام مؤسس الفرقة، وإبراهيم بن مهاجر النيسابوري، ومحمد بن الهيصم، وابن محمشاذ...وغيرهم. وهذا ما رددته حديثا الدكتورة سهير مختار في بحثها الخاص بهذه المدرسة إذ تقول:«**ومما اشتهر به شيوخ الكرامية الزهد والتصوف.**»[٥] وأيضا هنالك بعض العادات

(٢) انظر على سبيل المثال: أبو المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، عرف الكتاب، وعلق حواشيه: محمد زاهد الكوثري، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، د.ت، ص٩٣-٩٩.

(٣) فمثلا عندما يترجم صلاح الدين الصفدي لابن كرام يقول عنه:«المجسم محمد بن كرام بن عراف...الشيخ أبو عبد الله السجستاني الضال المجسم شيخ الكرامية». [الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤/٢٦٥].

(٤) نبه فريق من القدامى وتابعه عدد من الباحثين المحدثين على تعديل محمد بن الهيصم، شيخ الكرامية في زمانه، لبعض أفكار ابن كرام؛ فقام بترميم المذهب ورأب صدعه، فكان "مقاربا" له لمذهب أهل السنة، وكان هذا الإصلاح بسبب ما وجده من اتهام لابن كرام باستخدام مصطلحات فلسفية في التعبير عن آرائه اللاهوتية. [انظر: سهير مختار، التجسيم عند المسلمين: مذهب الكرامية، شركة الإسكندرية للطباعة، ١٩٧١م، ص٨٩-٩٠].

(٥) سهير مختار، التجسيم عند المسلمين، مرجع سابق، ص١١.

في نمط الملبس والأغطية[٦]، فقد لبسوا الصوف، ومن المعروف «أنّ لبس الصوف كان دلالة على الحرمان من الدنيا؛ فالشحاذون مثلا كانوا يلبسونه.»[٧] وهذا يدل على ممارسة الكرامية للناحية العملية للزهد في صورتيه: الخارجية من تقشف في المأكل والمشرب والملبس، والانقطاع كثيرا إلى الله تعالى، والداخلية من تقوى وورع وذكر لله تعالى.

في القرن الثالث الهجري خاصة، ظهرتْ في إقليم خراسان وما وراء النهر حركة أهل الحديث، وهو اتجاه كان معنيا -في المقام الأول- بجمع الأحاديث واستخلاص الصحيح منه، ثم ظهرت حركة أخرى موازية لحركة أهل الحديث، وإن كانت تعتبر بالنسبة إليها في المنزلة الثانية؛ وهي حركة خاصة من حركات الصوفية[٨].

أما هذه الحركة فهي حركة الكرامية التي تنسب لمحمد بن كرام، والسالمية أتباع عبد الله بن محمد بن سالم البصري (ت.٢٩٧هـ/٩١٠م)، هاتان الحركتان اللتان لقبتا بعد ذلك بصوفية أهل الحديث[٩] في نيسابور وما حولها. وهذا الاتجاه ذاته هو ما أطلق عليه الدكتور عبد القادر محمود[١٠] اسم "التصوف السلفي" تمييزًا له عن التصوف السني والفلسفي[١١]، والذي بدأ من المدرسة الكلامية لدى المفسر مقاتل بن سليمان (ت. ١٥٠هـ/٧٦٧م) ومدرسته، التي تتلمذ عليها الكرامية، ثم المدرسة السالمية.

ويتبدّى من خلال الشذرات الواردة في ثنايا المصادر والمؤلفات القديمة أنّ للكرامية موقفًا جدليًا من بعض قضايا التصوف وموضوعاته، مثل: التوكل وتحريم المكاسب، والولاية، والحلول، ثم علاقتهم بالملامتية، والسلطة. كما ينضاف إلى هذه الأهمية أمر آخر يتجلى في نقد الآخر للقيم الخلقية وبعض الآراء كما وردتْ عند الكرامية.

تدل الخوانق والرباطات التي أقامها أتباع الكرامية في نواحٍ متعددة من البلدان، وحلقات الذكر التي كانوا يعقدونها على ملامح تجمع بينهم وبين الصوفية. فمن

(٦) يوضح صلاح الدين خليل الصفدي (ت. ٥٧٦٤) أمرين في هذا السياق التاريخي، أحدهما لباس ابن كرام، وثانيهما تخصيص مكان له للوعظ والتذكير، فيقول:«كان ملبوسه مَسك ضأن مدبوغ غير مخيط، وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، وقد نصب له دكان لبن، ويطرح له قطعة فرو، فيجلس عليها، ويعظ ويذكر ويحدث.» [الوافي بالوفيات، ٢٠٦/٤].

(٧) جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ترجمة: محيي الدين جمال بدر، رضا حامد قطب، مراجعة وتقديم: محسن الدمرداش، بيروت: دار الجمل، ٢٠١٦م، ١٤٤/٢-١٤٥.

(٨) أشار عبد المحسن الحسيني إلى أنّ من فرق الصوفية فرقة شايعت أهل الحديث إذ بدأت مذهبها من المجتمع والقومية العربية، وهذه الفرقة هي الزهاد من التابعين والكرامية من الصوفية. [انظر: عبد المحسن الحسيني، المعرفة عند الحكيم الترمذي، القاهرة: دار الكاتب العربي، د.ت، ص٧].

(٩) انظر: عبد المحسن الحسيني، المعرفة عند الحكيم الترمذي، مرجع سابق، ص٤٥.

(١٠) انظر: عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦٧م، المقدمة (صفحة "ز").

(١١) كان للتصوف اتجاهان رئيسان عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين، أحدهما سني، يتقيد أصحابه فيه بالكتاب الكريم والسنة النبوية، ويربطون مقاماته وأحواله بهما، وثانيهما شبه فلسفي، ينزع أصحابه فيه إلى الشطحيات، وينطلقون من حال الفناء إلى إعلان الحلول أو الاتحاد. أما التصوف الفلسفي -الذي ظهر بوضوح منذ القرنين السادس والسابع الهجريين- هو التصوف الذي يعمد أصحابه إلى مزج أقوالهم الصوفية بأنظارهم العقلية، مستخدمين في التعبير عنه مصطلحًا فلسفيًا استمدوه من مصادر متعددة، وكانت لهم نظريات فلسفية في الوجود. [انظر: أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، القاهرة: دار الثقافة، ط٣، ١٩٧٩م، ص١٤٥، ١٨٧].

المؤكد لدى كثير من المؤرخين أنّ رجال الكرامية أظهروا الزهد والتقشف، وكانوا من العباد، وكان لابن كرام -شيخ الكرامية- أتباع يعدون بالألوف تابعوه على التقشف والعبادة[١٢]، وكانت لهم أربطة للعبادة. فعلى سبيل المثال ورد في ترجمة أبي محمد عبد الله بن محمد بن سليمان السجزيّ أنه كان من أصحاب محمد بن كرام وعلى مذهبه، ومن رفقائه، وسمع معه تفسير الكلبي (ت.١٤٦هـ/٧٦٣م) بسمرقند[١٣]، «وهو الذي اتخذ الخانقاه لهم بسمرقند»[١٤]. وكذلك في ترجمة أبي الحسن الخانقاهي[١٥] (ت.٣٤١هـ/٩٥٠م) يذكر أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في تاريخ نيسابور أنه كان «يسكن خانقاها لنفسه، فنسب إليها، وكان يلقب نفسه بالعاصي على رؤوس الملأ في مجلسه، وكان من مشايخ الكرامية»[١٦].

ولما كان إقليم خراسان قد ظهر فيه لونان أساسيان تبعًا للونين اللذين ظهرا في علم الكلام، ذلك أن أحدهما كان يميل إلى التفكير العقلي الفلسفي، والآخر كان يميل إلى تفكير أهل السنة المحافظ، فقد تداعت لديّ مجموعة من الأسباب للوقوف على موقف الكرامية من الآراء الصوفية في هذا الإقليم خاصة، منها: أولًا: ندرة البحوث والدراسات التي أشارت إلى الكرامية بوصفها "حركة صوفية"، أو على أقل تقدير لها موقف ظاهر من الآراء الصوفية السائدة في إقليم خراسان وأحيانًا بلاد الشام "بيت المقدس". وثانيًا: الكشف عن الصلة بين الملامتية والكرامية، وتحديد نقاط التشابه ومواضع التمايز والتباين بين هاتين الحركتين. وثالثًا: تحديد موقف مذهب الكرامية من الآراء والموضوعات الصوفية التي شغلت أذهان الصوفية في الفترة التي عاشها رجالات المذهب الكرامي. ورابعًا: الاضطلاع بتخصيص بحث عن الزهد والتصوف عند الكرامية يفي بحاجة الدارسين لمذهب الكرامية عامة، ودرءًا للاتهام بالتقصير واللوم في هذا الباب كما حدث سلفًا مع الدكتورة سهير مختار؛ إذ تقولُ في مقدمة كتابها عن الكرامية: «وربما أُتهم بالتقصير لعدم تخصيص فصل عن زهدهم وتصوفهم»[١٧].

(١٢) يقول الصفدي في ترجمة ابن كرام: «ولما توفي كان أصحابه في القدس أكثر من عشرين ألفا على التقشف والتعبد» [الوافي بالوفيات، ٢٦٥/٤].

(١٣) هذا تناقض ملحوظ؛ إذ مما يلاحظ أن كثيرًا من مؤرخي الفرق ينتقص من علوم ابن كرام وأصحابه، ويتهمهم بالجهل وقلة البضاعة وخاصة في وضع الأحاديث، وفي الوقت نفسه تقف على عبارات لديهم يفهم منها أن هؤلاء -أي الكرامية- سمعوا التفسير والحديث والفقه. وخير مثال على ذلك ما ورد في ترجمة الفقيه الكرامي عبد الرحمن بن محمد بن محبوب أو محبور بن حفص (ت. ٣٦٠هـ/٩٧١م): قال الحاكم في تاريخه: فقيه ومحدث الكرامية. وقال الذهبي: بقية الكرامية ومحدثهم. [انظر: تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، ص٢٩٦-٢٩٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٦١/٢٦]. وقارن أيضًا ما ورد في ترجمة أبي الحسن الخانقاهي النيسابوري، وما هي الشروط التي وضعها لمريديه لتلقي الحديث الشريف وسماعه. [انظر: تاريخ نيسابور، ص٣٣٠].

(١٤) نجم الدين عمر بن محمد النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق: يوسف الهادي، طهران: آينه ميراث، ط١، ١٩٩١م، ص٣١٠.

(١٥) هو علي بن محمد بن أحمد بن دلويه أبو الحسن الخانقاهي النيسابوري. انظر ترجمته في: تاريخ نيسابور، ص٣٣٠.

(١٦) تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، ص٣٣٠. وقارن: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٣/٢٥.

(١٧) سهير مختار، التجسيم عند المسلمين، ص١١.

ويخيل إليّ أن المذهب الكرامي من المفردات الثقافية والروحية في تاريخ الثقافة الإسلامية، وقد تجاوب صداه في أرجاء بلدان العالم الإسلامي تأييدًا[١٨] وتنديدًا[١٩]. لذا فما هي طبيعة هذا المذهب؟ وما هي ملامح التصوف التي تربطه بالصوفية؟ وهل كانت نشأته الروحية بمثابة رد فعل للملامتية؟ وما هي العوامل التي مكنته من الانتشار والبقاء والتنامي لفترات طويلة؟

أولًا
ملامح النزعة الصوفية عند الكرامية:

منذ القرن التاسع وحتى القرن الثاني عشر الميلادي، ظلت الكرامية قوة مهمة في الحياة الاجتماعية والدينية في خراسان؛ وكان السبب في هذه الاستمرارية والتأثير تكوين مجتمعات رهبنة كبيرة في أراض خصصها أصحابها لهذا الغرض، حتى يتمكن قاطنوها من اتباع أمر محمد بن كرام بتجنب العمل وتكريس النفس للزهد والصلاة فحسب[٢٠]. وكان من أهم سمات حركة الكرامية الدور الذي لعبته في دخول الرعايا غير المسلمين إلى الإسلام. فقد كان كثيرون من أتباع ابن كرام حديثي العهد بالإسلام، وكان ابن كرام يسلك طريق الدعوة إلى الدين الإسلامي في جميع أنحاء نيسابور، والراجح أنه وُفِّق في مسيرة دعوته بدرجة كبيرة في دخول مجموعات من أهل الديانات الأخرى إلى الإسلام لا سيما في هراة، وغرجستان، والمناطق الواقعة بين هراة ومرو[٢١]. لذا فمن العوامل التي دفعت بعض الغوريين إلى اعتناق الإسلام ما ظهر على مؤسس المذهب من تقشف وزهد عندما أخذ يدعو لمذهبه في بلاد الغور، حيث رأى بعض الأهالي من الصناع والعمال والفلاحين في هذه البلاد ما لهذا الدين الجديد من بساطة ويسر لوحظت في زهد ابن كرام وتقشفه؛ بل من المحتمل أن تكون الأقلية المسلمة التي تحدث عنها الجغرافيون المسلمون في بلاد الغور من ثمرة أعمال محمد بن كرام[٢٢].

وبعد مرور نصف قرن من الزمان تقريبًا، ظهر إسحاق بن مَحْمِشاذ بن إسحاق (ت. ٣٨٣هـ) زعيم الكرامية في عصره، وجدّ الأسرة التي تزعمت الكرامية حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، قال الحاكم في تاريخه في ترجمة إسحاق بن محمشاذ: «شيخهم وإمامهم في عصره، كان على الحقيقة من الزهاد العباد المجتهدين التاركين للدنيا مع القدرة عليها

(١٨) يقول صلاح الدين الصفدي عن ابن كرام: «أثنى عليه ابن خزيمة واجتمع به غير مرة وأبو سعيد الحاكم». [الوافي بالوفيات، ٤/٢٦٥].

(١٩) يدل على ذلك -مثلًا- أن الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي كان ينكر على الكرامية، ويقول: «ظاهر حسن وباطن قبيح».[الوافي بالوفيات، ٤/٢٦٥].

(٢٠) نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م، ص٧٦.

(٢١) انظر: ويلفرد مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ترجمة: أبو القاسم سري، تهران: أساطير، ١٣٧٧ش، ص٧٨-٧٩.

(٢٢) انظر: وائل أحمد إبراهيم، حضارة الدولة الغورية في المشرق الإسلامي، ص٣٣٦.

أن لو شاء، سمع العلم من جماعة من الفريقين ثم اشتغل بالوعظ والذِّكر قال في مواعظه: ألا تدخلون مدينة رسول الله -ﷺ- فتسألون عن قصوره وبساتينه، ثم تسألون عن منازل ابنته فاطمة، عن حُليِّها وجواهرها، ثم تسألون عن قصور أصحاب راياته والخلفاء من بعده؟ ثم قال: والله لو فعلتم لم تجدوا منها شيئًا، ولعلمتم أنكم على ضلال في طلب الدنيا»[٢٣].

استطاع أبو يعقوب إسحاق بن محمشاذ أن يدخل مجموعات كثيرة (قيل: خمسة آلاف) من أهل الكتابين والمجوس إلى حظيرة الإسلام[٢٤]. وهذا معناه أن للكرامية دورًا حقيقيًا في الدعوة إلى الإسلام، وهو من ملامح النزعة الإيجابية لدى الصوفية عامة. ومن الدلائل على وجود اتجاه أو تيار تورعي تزهدي لدى حركة الكرامية ما يلي:

(أ) نزعة الزهد في إقليم خراسان قبل ابن كرام:

ظهر التصوف في بلاد خراسان كما ظهر في مصر والعراق، فيذكر المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون[٢٥] أنه يمكن تلمس أصول مدرسة ابن كرام لدى ثلاثة من الشخصيات الخراسانية، وهم: إبراهيم بن أدهم، وشقيق البلخي (ت. ١٧٤هـ/٨١٠م)، وأحمد بن حرب (ت. ٢٣٤هـ). وفيما يلي إشارة موجزة لهذه الشخصيات الثلاث.

- إبراهيم بن أدهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور، سلك طريق الزهد والورع، لم يأكل طيلة عمره إلا من كسب يده[٢٦] كي يفي بضروريات حياته من وجه حلال، وكان يعتبر الفقر راحةً ونعيمًا للمؤمن، والمشقات التي يجابهها السالك إلى الله تعالى فرصة للتفكر وشحذ الإرادة وإتقان العمل[٢٧]. توفي على الحدود مع الدولة البيزنطية[٢٨].

- شقيق البلخي:

أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي، من قدماء مشايخ بلخ، كان عزيز القوم ومقتداهم، منصرفًا عن شغل الدنيا غير مهتم برزقه

(٢٣) الحاكم النيسابوري، تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، ص ٢٠١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩/٢٧. السمعاني، الأنساب، ٤٤/٥.

(٢٤) انظر: الحاكم النيسابوري، تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، ص٢٠١. مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٧٨-٧٩. نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٧٩. ادموند بوزورث، نشوء مذهب الكرامية في خراسان، ترجمة: عواد مجيد الأعظمي، ص٤٦.

(25) Louis Massignon, Essay on the origins of the Technical Language of Islamic Mysticism, translated from French by Benjamin Clark, University Of Notre Dame Press, 1997 ,p17.

(٢٦) الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد قنديل، القاهرة: ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٥م، ٣١٤/١-٣١٥. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢/ ٢٠٠٣م، ص٣٥.

(٢٧) أديب نايف، موقف إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي من الفقر وكسب الرزق، الجامعة الأردنية: مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢٥، ع٢، ١٩٩٨م، ص٣٢٩.

(٢٨) جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٨٠٦/٢.

قط: صحب إبراهيم بن أدهم، ورأى كثيرًا من المشايخ وأدرك صحبتهم[٢٩]. وكان أول صوفي يرتاد نظرية المقامات "المنازل" أو كما يقول أبو عبد الرحمن السلمي: «أظنه أول من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان.»[٣٠] ونظرا لكلامه عن المنازل وأهل الصدق، ويقصد بذلك المنازل التي يمكن للمؤمنين أن يتقربوا من خلالها إلى الله، فاعتبره المستشرق جوزيف فان إس Josef van Ess صاحب التصميم الأول لمراتب المقامات المعروفة عند أهل التصوف[٣١].

-أحمد بن حرب:

تؤكد بعض المصادر أنّ ابن كرام كان يكثر الاختلاف إلى أحمد بن حرب (ت. ٢٣٤هـ/٨٤٩م) النيسابوري الزاهد[٣٢]، وقد تدرب على يديه[٣٣]؛ حتى أنّ صلاح الدين الصفدي يصرح بذلك فيقول: «ثم جالس أحمد بن حرب فأخذ التقشف عنه»[٣٤].

وقد أورد الهجويري في كتابه " كشف المحجوب " حكاية عنه تفيد ضرورة أنْ ينفق الرجل على زوجه من مال حلال، ولا يرعى الظلمة والسلاطين المستبدين من أجلها، حتى إذا ما أنجب ولدًا يكون على شريطة ذلك[٣٥]. واعتبرته الشيعة والكرامية من المحدثين والزهاد الحقيقيين، وهو يقع ضمن دائرة مدرسة خراسان الصوفية، وأنّ تفكيره الصوفي كان قائما على الخوف[٣٦]. ويبدو أن ارتباطه بالكرامية[٣٧] جعل المحدثين يرفضونه، أو بعبارة أخرى: إن الانتقادات التي وجهت إليه كانت بسبب قرب الكرامية منه، وإخلاصها له[٣٨].

ويلاحظ في هذا الصدد أنّ مذهب التشبيه كان بمثابة المذهب الوحيد الذي لاقى قبولًا واستمرارًا في خراسان، وعمل الصوفية على استمرار الارتباط القديم للتشبيه مع مفهوم الإيمان. يتضح هذا على يد أحمد بن حرب الذي قد جاء إلى خراسان قادمًا من مدينة مرو[٣٩]. ثم تتابع التصوف من بعد هؤلاء، وكان لهذا التصوف تأثير واضح على ابن كرام، الذي اشتهر بالزهد والتصوف، وأخذ عنه شيوخ الكرامية هذا

(٢٩) كشف المحجوب، مرجع سابق، ٣٢٣/١. عبد الرحمن الجامي، نفحات الأنس من حضرات القدس، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠م، ص١٣٨.

(٣٠) السلمي، طبقات الصوفية، ص٦٣.

(٣١) جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٨٠٨/٢.

(٣٢) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١/١٩٦٤م، ٣٠٤/٢. السمعاني، الأنساب، ٤٤/٥.

(33) Essay, p174.

(٣٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٦٥/٤.

(٣٥) انظر: كشف المحجوب، ٦١/٢.

(٣٦) انظر: سعيد شفيعيون، أحمد حرب اصفهاني نيشابوري، (تحقيقي دربارة احوال واقوال يكي از صوفي زاهدان قرن سوم هجري)، مطالعات عرفاني (مجله علمي پژوهشي) دانشكده علوم انساني دانشگاه كاشان، شماره دهم، پاييز وزمستان ٨٨، ص٢٢٦.

(٣٧) تناول بعض الباحثين الصلة بين ابن حرب وابن كرام، وكيف أن الثاني تعلم التقشف والبساطة من خلال مقابلاته العديدة لأحمد بن حرب، وأنّ أصول فكر ابن حرب وسلوكه انتقلت إلى ابن كرام وطائفته، مثل: مفهوم التوكل، وتواتر الخوف من عذاب القبر والدعاء، والحكمة. [انظر: سعيد شفيعيون، احمد حرب اصفهاني نيشابوري، ص٢٣٢-٢٣٩].

(٣٨) انظر السابق، ص٢٣٨.

(٣٩) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، مرجع سابق، ٩٠٣/٢-٩٠٤.

السلوك(٤٠)، وهذا معناه أنّ الصوفي السلفي -وهو ينكر التأويل- يميل إلى التجسيم، ويخاطب الله خطابًا موضوعيًا أو شبه موضوعي، بينما التصوف السني يبتعد عن التجسيم، وينحو نحو البعد عن التشبيه(٤١).

(ب) شخصية مؤسس مذهب الكرامية وأتباعه:

كان ابن كرام يسلك مسلك التقشف والزهد(٤٢)، وهو من تلاميذ أحمد بن حرب، وكان يتجول في مقاطعات خراسان الريفية، خصوصا تلك المناطق التي لم يتمكن منها الإسلام إلا على نحو هزيل مثل منطقتي غور وغرشيستان، وكان يرتدي ثيابًا مشغولة بصوف الغنم غير متناسبة الألوان(٤٣)؛ حتى وُصفَ بأنه «صلة وصل بين الزهد القديم والتصوف»(٤٤). بالإضافة إلى تعاليمه الأخلاقية عن ضبط النفس الشهوانية وتهذيبها بالتقشف والزهد. فيقول تاج الدين السبكي الأشعري (ت.٧٧١هـ/١٣٧٠م) عن زهده ووعظه وعبادته: «كان من إظهار التنسك والتأله والتعبد والتقشف على جانب عظيم: فافترق الناس فيه على قولين: منهم المعتقد، ومنهم المنتقد؛ وعقدت له مجالس سئل فيها عما يقوله، فكان جوابه أنه إلهام يلهمه الله»(٤٥): مما جعل خلقًا كثيرًا يفتتن به ويلتف حوله. يتضح من هذا أنّ له القدرة على الظهور بمظهر التقشف والورع، وهذه الحياة التي عاشها ابن كرام هي التي جذبت انتباه الناس، وأنقذته من موت محقق على ما اتهم به من أخطاء(٤٦).

ولم تكن الكرامية -في البداية- مدرسة فقهية أو كلامية، ولكن أتباع ابن كرام كانوا ينظرون إليه على أنه زاهد، وعابد، وواعظ أكثر من أي شيء آخر(٤٧)، ولم تكن سمة الزهد والوعظ مقصورة على ابن كرام، بل قد عرف «جميع الكرامية بالمتقشفة بسبب ممارستهم الزهد»(٤٨)؛ يدل على ذلك ما روي في ترجمات أعلام الكرامية من صلة وثيقة بالزهد والوعظ والتذكير(٤٩)، وذلك في الإشارات التالية:

كان أبو يعقوب إسحاق بن محمشاذ موسومًا بالزهد والورع والتقوى والوعظ، وإليه انتهت الرياسة في بلده نيسابور. ومنهم محمد بن إسحاق بن محمشاذ الواعظ الأستاذ

(٤٠) انظر: سهير مختار، التجسيم عند المسلمين، مرجع سابق، ص٤٠.

(٤١) انظر: عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص٧٩.

(٤٢) من الملاحظ أن بعض مصنفي الفرق -كالإسفراييني- بدا متحاملًا على ابن كرام، فاتهمه بالنفاق في الزهد والعبادة، ومحاولته خداع جماعة من أهل السواد لمتابعته ومناصرته. [انظر: التبصير في الدين، ص٩٣].

(٤٣) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، مرجع سابق، ٩٠٤/٢.

(٤٤) أمين سعيد أبو ليل، مخطوطات التصوف في فلسطين: دراسة ببليوغرافية، الأردن: مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٨، ص٨.

(٤٥) طبقات الشافعية الكبرى، ٣٠٤/٢.

(٤٦) نشوء مذهب الكرامية في خراسان، ص٤٠.

(٤٧) انظر: مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٧٧-٧٨.

(٤٨) المرجع السابق، ص٧٨.

(٤٩) حتى أنك تقف في تراجم بعض الكرامية مثل أبي جعفر الأبزاري النيسابوري -الذي توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة- على وصف " مُذكِر الكرامية ". [انظر: تاريخ نيسابور، ص٤١٣].

الإمام أبو بكر الزاهد بن الزاهد بن الزاهد، زعيم أصحاب أبي عبد الله ورئيسهم، بسيط الجاه، توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة[٥٠]. وقد مثَّلَ هذان العلمان فرقة الإسحاقية إحدى فرق الكرامية، وذلك في القرن الرابع وبدايات القرن الخامس الهجري.

ومنهم: أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيصم الأستاذ الإمام البارع من كبار الأئمة من أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، رجل نسيب من بيت الإمامة، جليل القدر، بالغ في الفضل، من مشاهير أصحابهم، أخذ الطريقة والعلوم عن أبيه، وتخرّج في الفنون، وخلفه في التدريس والتصنيف والإمامة. خرج إلى العراق والحجاز وحجّ وزار المشاهد، ولقي الأئمة والمشايخ، وسمع الأحاديث وأدرك الأسانيد، وناظر بالري صاحب المغني القاضي عبد الجبّار الهمذاني، وأهل المذهب، وكان محترمًا مبجّلًا بينهم، مرضي الكلام، توفي سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة[٥١].

ومنهم: أبو بكر عبد الله بن محمد بن الهيصم (ت.٤٦٧هـ/١٠٧٥م)، من أصحاب أبي عبد الله، كان أصيلا فاضلا، نشأ في العلم والزهد، وصحب الكبار من أصحابهم[٥٢]، وكان في زمانه رأس طائفته، ليس لهم مثله في الكلام والنظر، فقد حصل سرائر المذهب ودقائق الكلام. أقام بنيسابور، وكان ملازما للفقر غير منبسط إلى أحد ولا راغب في أخذ أموال السلاطين والعمّال، قانعا بالكفاف، قلّ ما يخالط الناس ويقوم بوظيفة التدريس والإرشاد، زجّى على ذلك عمره[٥٣].

ومنهم: أبو الفرج أحمد بن محمد بن الهيصم من أماثل أولاد أبيه فضلًا وورعًا وزُهدًا ووعظًا، خرج من خُراسان إلى غَزْنَة، فدرّس بها مُدّة، ووعظ، ثُمّ عاد إلى خُراسان وروى الحديث وخرَّج، وكان حادّ الفراسة، قويّ الفِكْر. توفِّي سنة نيِّفٍ وخمسين، وكان أبوه من كبار علماء زمانه[٥٤].

ومنهم: أيضا أبو بكر عتيق السورياني النيسابوري (ت. ٤٩٤هـ/١١٠١م)، شيخ طائفة أبي عبد الله بن كرام في عصره بنيسابور، الذي اشتهر مثل بقية الطائفة بكثرة الزهد والعبادة، فكان صوامًا بالنهار، قوامًا بالليل، عابدا، مجتهدا، فاضلا[٥٥]. ومنهم: أحمد بن محمد إسحاق بن محمشاذ أبو عبد الله ابن الإمام أبي بكر، بيتهم بيت الإمامة والرئاسة للطائفة، وفيهم الزهد الكامل والورع الصادق، وكان سلفهم من الأولياء وزهاد المسلمين، صائن النفس، كثير العبادة، مليح في الوعظ له القبول، وقد توفي

(٥٠) أبو الحسن الفارسي، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٢.

(٥١) انظر: أبو الحسن الفارسي، المختصر من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، تهران: مركز بزوهشي ميراث، ١٣٨٣ه، ص٢٥٥. المنتخب من السياق، ص٣٦٠.

(٥٢) المنتخب من السياق، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٥٣) انظر: المختصر من كتاب السياق، ص١٧٧.

(٥٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤٧/٣٠.

(٥٥) انظر: المنتخب من السياق، ٤٠٣.

سنة ٥٤٤ من الهجرة(٥٦)، ومنهم مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة، ينتسب إلى الكرامية الهيصمية، وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه(٥٧).

ينضاف إلى ما سبق أن أصحابه(٥٨) كانوا من الزهاد، فمثلا كان أبو الحسين التوني من أصحاب عبد الله بن كرام، وكان له حكاية مع أبي سعيد بن أبي الخير، تمخضت عن مقالة أبي سعيد بن أبي الخير يمدحه فيقول: «كل من يسير وفق إشارة الشيوخ يكون هكذا، وهذا كله ببركة إشارة ذلك الشيخ»(٥٩)، ومنهم سهل بن أبي القاسم عبد الرزاق العلمي الحاكم، شيخ من أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، من أهل بيت الحكومة والورع والزهد(٦٠)، ومنهم: صديق بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد البيشكي أبو سعيد رجل مشهور جليل، من وجوه الأئمة ومن أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وبيته بيت العلم. وقد سمع الحديث من الأستاذ أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ وطبقتهم، وكان له مجلس التذكير، وتوفي في الرابع عشر من ذي القعدة سنة ستّ وثمانين وأربع مئة(٦١).

ومنهم: عمر بن الأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن بن الحسين المعروف بالحامدي الإمام الأستاذ أبو عبد الرحمان العابد الزاهد، من وجوه أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، الإمام في علم القرآن والقراءات ووجوهها وعللها وما يتعلق بها، المستغرق عمره في الإقراء والإفادة، زجّى عمره في العفاف والصلاح والزهد والإعراض عن الدنيا والقناعة، وكان وضيء الوجه نظيف السنّ مقبولا متبرّكا بدعائه وأيّامه(٦٢)، وكان أبو الحسن الخانقاهي النيسابوري من مشايخ الكرامية، يجتمع الخلق في مجلسه، وكان يرجع إلى أخلاق مرضية، في حسن العشرة والخروج إلى الثغور غازيًا(٦٣).

ومن خلال هذا التتبع لتراجم الكرامية وسيرهم يتضح ما يلي: أولًا-الجمع بين الفقه الحديث والتصوف، يدل على ذلك أن أبا العلاء إبراهيم بن محمد التاياباذي، كان فقيه الكرامية ومقدمهم، حدّث بقصبة البوزجان(٦٤)، وأيضًا ما ورد في إشارة المقدسي؛ إذ يقول: «الكرامية

(٥٦) المرجع السابق، ص١٠٠.

(٥٧) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد ١٠، ص٢٦٢.

(٥٨) هم كثر لدرجة أنك عندما تتفحص كتب التراجم، تجد دوما عبارة من أصحاب أبي عبد الله بن كرام، مثل: شبيب بن أحمد بن خشنام أحمد البِستيغي، منسوب إلى قرية من أعمال نيسابور، وكان من أصحاب أبي عبد الله بن كرام. وأيضًا: أبو بكر عبيد الله بن محمد البُزياني، شيخ من أصحاب أبي عبد الله بن كرام، مات سنة ست وعشرين وخمسمائة. [انظر: الأنساب، ٢٨٤/١، ٣٤٤، ٣٤٨ ، ١٣٢/٤].

(٥٩) محمد بن المنور بن أبي سعيد، أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد، ترجمة وتقديم: إسعاد قنديل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م، ص١١٦.

(٦٠) انظر: المنتخب من السياق، ص٢٤٥. المختصر من كتاب السياق، ص١٠٨.

(٦١) انظر: المنتخب من السياق، ص٢٥٩. المختصر من كتاب السياق، ص١٣٣.

(٦٢) انظر: المنتخب من السياق، ص٣٧٠. المختصر من كتاب السياق، ص٢٦٨.

(٦٣) انظر: تاريخ نيسابور، ص٣٣٠. السمعاني، الأنساب، ٣١٣/٢

(٦٤) السمعاني، الأنساب، ٤٤٤/١.

أهل زهد وتعبد، ومرجعهم إلى أبي حنيفة»[٦٥].

ثانيًا- صلاح السيرة والأخلاق المرضية، ونفاق سوق الكرامية لدى العامة[٦٦]، فقد كان أبو القاسم الموفق بن محمد بن أحمد البِجستاني الميداني من أهل نيسابور، شيخًا صالحًا سديد السيرة من أصحاب أبي عبد الله بن كرام، وكان له قبول عند العوام ونفق سوقه عندهم[٦٧].

ثالثًا- اشتهارهم بالزهد والتقشف، مثلما حكي عن ابن كرام حتى قال السمعاني: «حكي عنه من الزهد والتقشف أشياء»[٦٨]. وكذلك ما ذكر حول مكانة الأستاذ أبي بكر بن محمشاذ وأبيه، فقد كان أبو بكر «مرموقًا بعين النباهة في صدر هذه الدولة؛ لمكانة أبيه من الزهادة، وضمه الأطراف على العبادة، واقتفائه نهج أبيه فيما كان ينتحله وينتحيه»[٦٩].

(ج) طبيعة الأرض الجبلية:

ربما ساعد على انتشار التصوف في سجستان طبيعتها الجغرافية؛ إذ إنّ أرضها مملوءة بالرمال، كما أنّ الرياح لا تسكن فيها أبدًا، مما أضفى على رجالها عظم خلق وجلادة، وربما كان لهذا أثره الواضح في أن معظم الكرامية عرفوا بالزهد[٧٠] والميول التزهدية.

(د) إنشاء الأربطة والخانقاهات ودورها التربوي:

أقام ابن كرام السجستاني لنفسه ولأصحابه رباطا ببيت المقدس، كان يعظ فيه ويحدث ويذكر، وكان أصحابه ببيت المقدس نحو عشرين ألفًا، وكان يجلس للوعظ عند العامود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام، فيجتمع حوله خلق كثير، يسألونه، ويجيبهم[٧١]. ولم يكن هذا الرباط فحسب، بل كان له رباط في إحدى ثغور الشام، وثالث في دمشق، وقد عكف تلاميذه وأتباعه من بعده على بناء مكان للتزهد والتعبد بجوار مقبرته في بيت المقدس، وسموا المكان "خانقاة"[٧٢]. وبدأوا في بناء الخانقات الخاصة بهم، فأنشأوا واحدة في جوزجان، وأخرى في فرغانة، كما أنشأوا من قبل خانقاة في سمرقند وغيرها[٧٣]. وكان الكرامية أصحاب محمد بن كرام هم الذين أنشأوا أكبر عدد من الخوانق[٧٤]، وكان لهم خوانق كثيرة بإيران وما

(٦٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٤٥. وربما يقصد المقدسي هنا المذهب الفقهي أي يتبعون المذهب الحنفي، ومن المحتمل أنه يقصد المذهب العقدي أي من المرجئة.

(٦٦) أظن أن الأمر لم يكن مقصورًا على العامة، بل إن بعض السلاطين استعان بالكرامية في ضمان نفوذ السلطة الدينية، مثلما حدث مع الأمير ناصر الدين سبكتكين، ومن بعده محمود سبكتكين. وقد بلغ نفاق أسواقهم حتى قال أبو الفتح البستي شعرًا:

الفقه فقه أبي حنيفة حده ... والدين دين محمد بن كرام
إن الذين أراهم لم يؤمنوا ... بمحمد بن كرام غير كرام

[انظر: أبو نصر العتبي، كتاب اليميني، ٤٢٣/١].

(٦٧) السمعاني، الأنساب، ٢٨٤/١.

(٦٨) الأنساب، ٤٣/٥.

(٦٩) أبو نصر العتبي، اليميني، ٤٢٣/١.

(٧٠) انظر: سهير مختار، التجسيم عند المسلمين، ص١٧، وأيضًا: ص٣١.

(٧١) انظر: المرجع السابق، ص٥٩-٦٠.

(٧٢) انظر: المرجع السابق، ص٦٠.

(٧٣) انظر: المرجع السابق، ص٧٦.

(٧٤) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ٢٠/٢.

وراء النهر، والمغرب، وكان لهم أيضًا خوانق ومجالس ببيت المقدس، وكان لهم فوق ذلك محلة بالفسطاط[٧٥]، وكان للكرامية في خوانقهم مجلس ذكر يقرأون فيه من دفتر، كما كان ذلك لأصحاب أبي حنيفة[٧٦].

وفي القرن العاشر وجدت جماعات كرامية وخانقاهات "تكيات" في بغداد والقدس والفسطاط، وكذلك في الجوزجان، وختل، وفرغانة، ومرو، وسمرقند[٧٧]. لقد كرس الكرامية حركة نشطة وزاهدة، فكانوا يتطلعون إلى التأثير في الآخرين بسلوكهم وطريقتهم؛ لكي يغيروا أسلوب حياتهم، وكانوا كذلك يوبخون -في ثنايا مواعظهم- المولعين بالدنيا أي من يركن إلى الدنيا على حساب الآخرة، وبالطبع فقد أحدث ظهور الكرامية نهضة في حركة الزهد والعرفان في نيسابور[٧٨].

ننتهي من هذا إلى أن الفرق الكرامية التي أسسها ابن كرام وأتباعه، والخوانق التي أقاموها في بلدان عديدة، وحلقات الذكر التي كانوا يعقدونها كلها ملامح تجمع بينهم وبين الصوفيين[٧٩].

ويجب أن نلتفت الآن إلى الجانب المادي المتمثل في تكوين المؤسسات الصوفية،

ويبدو أنّ «أقدم المدارس كانت مرتبطة بالكرامية؛ حيث كانت أماكن لدراسة العلوم الإسلامية»[٨٠]، وبينما كانت المدرسة بالتأكيد منطقة مهمة للتأثير الصوفي، فقد كانت الخانقاة، أي المكان الذي يقيم فيه الصوفي، هي المؤسسة الصوفية الأشد تميزًا، والتي تشكلت في خراسان في هذه الفترة[٨١]. ومن أهم الشواهد في هذا الشأن، ما ذكره المقدسي[٨٢] حينما نسب -بشكل مطلق- ظهور الخانقاة إلى الكراميين[٨٣]. ويمكن أن نتلمس البعد الاجتماعي للصوفية من خلال الحالة التنظيمية التي يتميزون بها؛ فمثلًا يعزى السبب -إلى حد ما- في سرعة انتشار الفرقة الكرامية، الذين زهدوا الدنيا لمدة قرنين كاملين، إلى التشكيلات التنظيمية والبنى التي كانت تمتاز بها، فيعود الفضل إلى هذه الفرقة في تأسيس الخانقاة والمدرسة في الإسلام؛ إذ أتاحت شبكة الخانقاوات الكرامية سهولة الحركة والتعاطي الروحاني، وساعدت على الإبقاء على الوشائج الوثيقة بين المجتمعات المتناثرة، وعلى الرغم من افتقاد الطريقة الكرامية لزعامة موحدة، لكنها مع ذلك، حافظت على وجودها كحركة موحدة[٨٤]. والراجح أن لهذه المؤسسات المبتكرة -التي أشاروا

(٧٥) المرجع السابق، ٢٠/٢.

(٧٦) المرجع السابق، ٢٠/٢.

(٧٧) نشوء مذهب الكرامية، ص٤٤-٤٥.

(٧٨) انظر: مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٧٨.

(٧٩) انظر: أمين سعيد أبو ليل، مخطوطات التصوف في فلسطين، ص٩.

(٨٠) نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٨٦.

(٨١) انظر: المرجع السابق، ص٨٧.

(٨٢) يقول المقدسي: «وللكرامية بجرجان وبيار وجبال طبرستان خوانق». [أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٤٥].

(٨٣) انظر: مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٨٠.

(٨٤) انظر: مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٨٠. حبيب الله بابائي، جدلية النظر والعمل في التأسيس الإسلامي لإلهيات الحضارة، ٢٠١٤، ص١٨٥-١٨٦.

إليها تارة باسم خانقاوات، وباسم مدارس تارة أخرى- أثرًا في تطوير الصوفيين في خراسان لمؤسساتهم[٨٥].

(هـ) لباس الكرامية:

يذكر صلاح الدين الصفدي (ت. ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) وتاج الدين السبكي (ت.٧٧١هـ/١٣٧٠م) أنّ ابن كرام كان معه جماعة من الفقراء، وكان لباسه مَسْك ضأن مدبوغ غير مَخيط، وعلى رأسه قَلَنسوة بيضاء، وقد نُصب له دكان من لَبِن، وكان يُطرح له قطعة فَرْو فيجلس عليها، فيعظ ويذكر ويحدث[٨٦]. وكان الكرامية يلبسون رداءً من الصوف وفوطة مدلاة على رءوسهم تحيط بقلنسوة طويلة، ثم لبسوا فيما بعد اللون الأزرق، إما لأنه لباس الحداد؛ وإما لأنه كما يقال أيضًا، يلائم حال قوم فقراء جوالين في البلاد، وربما كان الأول هو الصحيح؛ لأن الفوطة أيضًا كانت لباس الرأس عند الحزن[٨٧]. ويبدو أن هذا النمط من الملبس هو عادة من عادات الصوفية، فقد سبقهم شقيق البلخي إليه؛ فلما تيقظ شقيق لمعنى الحياة الحقيقي، وبعد اعتناقه للتوجه الصوفي «التزم لباس الصوف أزرق اللون»[٨٨].

(٨٥) انظر: نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٧٦.

(٨٦) طبقات الشافعية الكبرى، ٣٠٤/٢.

(٨٧) آدم متز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ٢١/٢.

(٨٨) جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٨٠٨/٢.

ثانيًا
موقف الكرامية من بعض الموضوعات الصوفية:

١- التوكل وتحريم المكاسب:

اهتم شقيق البلخي، وهو من مؤسسي المدرسة الصوفية في خراسان، بتحديد مصطلح التوكل؛ إذ يرى أنّ التوكل معناه «أن يستقر قلبك على ما وعدك ربك»[٨٩]. وقد تطور هذا المصطلح تحت تأثير شقيق ليصبح من المصطلحات المركزية، الذي تولدت عنه معطيات كثيرة من معطيات الزهد[٩٠]؛ حتى وصف طريقه بأنه «طريق التوكل»[٩١]. ويمكن توضيح هذا التطور على النحو التالي:

(أ)- جعل شقيق التوكل فرضًا لازمًا على كل مؤمن، وأن من لا يتوكل على الله، فهو خارج من حظيرة الإيمان؛ وكان هذا المعنى مستنبطًا من فهمه للتوحيد، فلا ضار ولا نافع إلا الله.

(ب)- ثم اجتهد في تطبيق هذه النتيجة السابقة على الرزق؛ نظرًا للترابط الوثيق بين التوكل والرزق، فالرزق مقدر، والله متكفل به.

(ج)- لكن أهم ما نتج عن مفهوم التوكل عند شقيق، هو نبذه كل أنماط الأعمال الدنيوية، وقال بأن امتهان التجارة والحرف اليدوية من الأمور المفسدة؛ بل زعم أن كل عمل دنيوي

(٨٩) نفحات الأنس، ص١٤٠.

(٩٠) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٨٠٩/٢.

(٩١) نفحات الأنس، ص١٣٩.

بمثابة الذنب، فالقيام بمثل هذه الأعمال يدل على عدم اليقين في كفالة الله للرزق[٩٢]؛ هكذا انتهى شقيق إلى ترك المكاسب؛ لأن كل المكاسب مسممة. وقد أصبحت مقالة ترك الكسب من أهم مبادئ التصوف الخراساني منذ عهد شقيق وتلاميذه[٩٣]؛ لذا فلا غرابة أن نجد المستشرق الألماني آدم متز (Adam Metz) يصف الكرامية بأنهم جماعة من المتسولين[٩٤]، وقد دعوا إلى الزهد، وترك الكسب الدنيوي[٩٥].

أما نايل جرين (Nile Green) فقد ذهب إلى أنّ الكرامية جمعت «معتقداتهم بين الفهم الحرفي للنص القرآني، وزعم أنّ العمل والكسب المادي عقبتان في طريق الوصول إلى الله»[٩٦]. وهذا المزيج الناتج من تكوين صورة مجسمة للذات الإلهية، ووجود قيادة تضاهي في فقرها أفقر شخص من أتباعهم- أكسبهم قاعدة تأييد شعبية كبيرة في خراسان، حتى أن هذه الحركة عدت في نهاية المطاف حركة للطبقات الدنيا[٩٧].

وكان ابن كرام يقول بأن الناس جميعا مؤمنين منذ الميثاق الأزلي الذي أخذه الله عليهم. ربما يكون أراد بذلك إقامة الحجة على أولئك الأغنياء والعلماء من أهالي نيسابور في ادعائهم بأن أتباعه من الغوغاء لا يعتبرون من المسلمين الحقيقيين[٩٨]. وكان أتباع ابن كرام يذكرونه في قصص كثيرة، بوصفه الإنسان الذي يتوكل على الله فقط[٩٩]، وقد ذاع صيته، واكتسب تلك الشهرة بسبب تحريمه للمكاسب، أو تحريمه السعي لكسب المنافع المادية؛ نظرًا لأنه كان يعتقد أن العمل يعوق العابد عن عبادته[١٠٠]. ويبدو أن تحريم الكرامية للمكاسب ورفضهم الصارم للتجارة والاشتغال بالأعمال، كان سببًا لهجوم علماء المذاهب والفرق عليهم، فالحكيم السمرقندي (ت. ٣٤٢هـ/٩٥٧م) صاحب كتاب "السواد الأعظم"، رغم قربه من الفكر الصوفي، اتخذ من الكرامية -بسبب هذا التحريم للمكاسب- عدوًا، فاعتبرهم ملحدين ومن الأعداء المحدثين في ذلك الوقت[١٠١]. ورغم أنني أميل إلى أن هذا المذهب الذي تبنى تحريم المكاسب لم يكن إلا رد فعل قوي تجاه التشاغل بالماديات والإقبال على الدنيا؛ فإنه وجد نقدًا عنيفا من الآخر.

فالحارث بن أسد المحاسبي رأى القول بالسعي على المعاش وإباحة طلب الرزق، ورد على الغالطين في ذلك. فلقد زعم قوم أنّ «التوكل

(٩٢) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٨٠٩/٢ وما بعدها.

(٩٣) انظر: أبو العلا عفيفي، الملامتية والصوفية، ص٣٢.

(٩٤) يصف المستشرق إدموند بوزورث Edmond Bosworth ابن كرام بأنه كان من أفقر الطبقات في خراسان. [نشوء مذهب الكرامية، ص٤٣].

(٩٥) انظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ٢٠/٢.

(٩٦) نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٧٦.

(٩٧) انظر: السابق، ص٧٦.

(٩٨) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٩٠٥/٢.

(٩٩) ربما يعضد اهتمامه بهذه المسألة ما ورد من رواية حول سجنه، وأنه كان يغتسل كل يوم جمعة، ويتأهب للخروج إلى الجامع، وعندما يمنع من ذلك كان يردد: اللهم إني بذلتُ مجهودي، والمنع من غيري. [انظر: الوافي بالوفيات، ٢٦٥/٤. الأنساب، ٤٤/٥].

(١٠٠) انظر: مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٧٨.

(١٠١) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٨٣٨/٢. مادلونغ، فرقه هاي اسلامي، ص٧٨.

لا يثبت لأهله إلا بترك الحركة في طلب الرزق، والقعود عن الاضطراب»[١٠٢]. ويرد المحاسبي على هؤلاء بأن الله تعالى أباح للخلق الحركة في الطلب، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ (سورة البقرة: ١٦٨). وما روي عن النبي -ﷺ- أنه قال: «أطيب ما أكل المؤمن من كسبه»؛ فيدل هذا على إباحة الحركة في طلب الرزق، وأن المتحرك في طلبه لا يخرج من فرض التوكل[١٠٣]؛ كذلك، انتقد المحاسبي مسلك القائلين: «إنّ الحركة في الكسب معصية»، ما دام أنّ الله تعالى ضمن الرزق والكفاية[١٠٤].

لكن السؤال الأهم ها هنا: هل استمر هذا الموقف الكرامي من الكسب والأعمال طويلًا؟ وهل يتنافى الزهد مع العمل والكسب؟ أظن أنّ ثمة تطورًا حدث في موقف المذهب الكرامي من الكسب والعمل، فقد انتشرت مبادئ الكرامية في خراسان؛ بل وصل بعض رجال الكرامية إلى مناصب مرموقة، يدل على ذلك ما ذكره أبو نصر العتبي (ت.٤٢٧هـ/١٠٣٦م) حينما قال عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ: «انعقدت له الرئاسة في لبسة الصوف»[١٠٥]. ومن جهة أخرى كان أبو بكر أحد أعوان السلطان في قمع أباطيل الفرق الباطنية والمذاهب الغالية، وحماية الدين، ومناظرة المخالفين، وتطهير بيضة الإسلام عن كل ذي ريبة بعيدة أو قريبة. وبعبارة العتبي نفسه: كان أبو بكر «مشهورا باليقظة على الفرق الغالية والبدع الجافية»[١٠٦]. وهذا معناه أن الكرامية رغم ما هو متعارف عن زهدهم لم تكن حركة انفصالية عن المجتمع؛ بل شارك بعض رجالاتها في النشاطات السياسية والدينية.

٢- تفضيل الولي على النبي:

أجمع جمهور الصوفية ومحققو هذه الطريقة على أنّ الأولياء في جميع الأوقات والأحوال متابعون للأنبياء ومصدقون لدعوتهم، والأنبياء أفضل من الأولياء[١٠٧]. ثم ظهرت مسألة المفاضلة بين الأنبياء والأولياء في التصوف، وكان أول من أثارها متصوفة الإمامية بالكوفة على يد رياح وكليب، ثم ظهرت بعد ذلك في كلام متصوفة الشام كأبي سليمان الداراني (توفي٢١٥هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (توفي٢٣٠هـ)؛ وكل هؤلاء يذهبون إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء جملة[١٠٨].

وكان مجسمة خراسان من مؤيدي هذه المفاضلة، فادعوا أنّ الأولياء يصلون إلى حالة يفنون فيها عن أنفسهم ويبقون بالله، ويسمون هذه الحالة بالولاية، وهي ليست حالًا للأنبياء. وكذلك المشبهة الذين زعموا أن في الولاية اتصافا بأوصاف الألوهية عن طريق الحلول وما

(١٠٢) المحاسبي، المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط١، ١٩٨٧، بيروت: دار الكتب الثقافية، ص٤٨.

(١٠٣) السابق، ص٤٧-٤٨.

(١٠٤) انظر: السابق، ص٦٠-٦٢.

(١٠٥) أبو نصر العتبي، كتاب اليميني، ٤٢٥/١.

(١٠٦) كتاب اليميني، ٣٩١/١ وما بعدها.

(١٠٧) كشف المحجوب، ٤٧٤/٢.

(١٠٨) انظر: أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ص٣٠٨.

شاكله[١٠٩]؛ فيقول الهجويري مشيرًا إلى هاتين الطائفتين: «الحشوية، وهم مجسمة أهل خراسان، المتكلمون بكلام متناقض في أصول التوحيد؛ لأنهم لا يعرفون أصل هذه الطريقة، ويسمون أنفسهم أولياء، وهم أولياء حقًا، ولكنهم أولياء الشيطان. ويكفيهم هذه الضلالة أنهم يجعلون جاهلًا أفضل من محمد المصطفى ﷺ، وفريق آخر من المشبهة الذين ينتمون إلى هذه الطريقة ويجيزون -لعنهم الله- حلول ونزول الحق (في جسم العبد) بمعنى الانتقال، ويقولون بجواز التجزئة على ذات البارئ تعالى»[١١٠]. وهذا التفضيل للأولياء على الأنبياء لدى بعض الكرامية أشار إليه عبد القاهر البغدادي في أصول الدين[١١١].

٣- علائق الكرامية بالسلطة السياسية:

يقول تاج الدين السبكي عن نفي ابن كرام: «صاحب سِجِستان هو الذي نفاه، ولم يكن قصد الساعين عليه إلا إراقة دمه، وإنما صاحب سجستان هاب قتله، لِمَا رأى عليه من مخايل العبادة والتقشف؛ ولقد افتتن به خلق كثير»[١١٢]. وكان أبو بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ صاحب القول في وقته عند السلطان، مقربًا عند الأمير يمين الدولة محمود، دعا إلى السنة وهدم المسجد الجديد الذي بناه الروافض، وظهرت به دولة الكرامية واعتمده الأمير محمود في بناء الرباط بمرحلة قائمة على طريق سرخس[١١٣]. وقد تبنى الأمير ناصر الدين سبكتكين المذهب الكرامي في نيسابور، وقد استعان بأبي بكر بن محمشاذ، وكان هذا الأمير ينظر إلى الأستاذ أبي بكر نظرة تقدير يدل على ذلك قول العتبي: «يرى من عصابته في التزهد والتعفف، والترهب والتقشف ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين، وأعيان المتعبدين، فحلى ذلك في قلبه كما حلى بعينه، والمجاهد في الله محبوب»[١١٤].

واتصل زعماء المذهب الكرامي بالسلاطين الغزنويين خاصة السلطان محمود الغزنوي حيث حصلوا منه على بعض الدعم والعطف، ولعله حاول استمالتهم إليه بغرض تيسير مهمته في بلاد الغور[١١٥].

ثالثا
الصلة بين الكرامية والملامتية:

كانت صوفية أهل الحديث -الكرامية والسالمية- تتصل بحركة صوفية ذات لون خاص، متمثلة في مذهبين:[١١٦] في مذهب

(١٠٩) انظر: أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص٣٠٩.

(١١٠) كشف المحجوب، ٤٧٤/٢.

(١١١) يقول عبد القاهر البغدادي (ت.٤٢٩هـ/١٠٣٧م): «زعم قوم من الكرامية أن في الأولياء من هو أفضل من بعض الأنبياء، وزعم جهالهم أن زعيمهم ابن كرام كان أفضل من عبد الله بن مسعود، ومن كثير من الصحابة». [أصول الدين، استنابول، ط١، ١٩٢٨م، ص١٦٧. وقارن: ص٢٩٨].

(١١٢) طبقات الشافعية الكبرى، ٣٠٥/٢.

(١١٣) المنتخب من السياق ص٢٢.

(١١٤) كتاب اليميني، ٤٢٣/١.

(١١٥) انظر: وائل أحمد إبراهيم، حضارة الدولة الغورية في المشرق الإسلامي، ص٣٣٦-٣٣٧.

(١١٦) انظر: عبد المحسن الحسيني، المعرفة عند الحكيم الترمذي، ص٤٦.

أصحاب الفتوة الذين ينتمون إلى شاه بن شجاع الكرماني، وفي مذهب الملامتية. وتتجسد الصلة بين الكرامية والملامتية في أمرين على النحو التالي:

١- وجوه الاتفاق:

كانت الملامتية وأهل الفتوة امتدادًا لحركة صوفية أهل الحديث في أواخر القرن الثالث الهجري وجميع القرن الرابع؛ أما المراكز التي انتشرت فيها هذه الحركة بفرعيها -الملامة والفتوة- فهي تكاد تكون المراكز التي تنتشر فيها الكرامية حتى يمكن القول: «إنها كانت نوعًا من الكرامية تقمص روحا فلسفية حرة»[١١٧]. وكان الميل إلى الانصراف عن المجتمع ميزة للحركتين الأهم (الكرامية والملامتية) من الحركات الخراسانية المبكرة مما جعلهما متشابهتين مع حركة الزهاد في سوريا والعراق[١١٨].

٢- وجوه الاختلاف:

لكن الملامتية كانت معارضة على نحو أساسي للكرامية، فقد اعتبرت الملامتيةُ رجال الكرامية مروجين مرائين للزهد، يقف استحسان الناس لهم عقبة أمام التقوى الحقيقية[١١٩]، ومن ثم اعترضت الملامتية على الورع الشكلي الذي كان يظهر على الملابس البالية التي كان يرتديها الكراميون؛ يدل على ذلك أن أبا عبد الله محمد بن كرام سأل سالم بن الحسن الباروسي قائلًا له ما تقول في حقّ أصحابي؟ فقال: «لو أنّ الرغبة التي في باطنهم على ظاهرهم، والزهد الذي على ظاهرهم في باطنهم، كانوا رجالًا؛ لكني أراهم يُصلون كثيرًا، ويصومون بلا نهاية، وما فيهم نور الإيمان»[١٢٠]. وعند تحليل هذا النص تتضح الأمور التالية:

(أ)- سالم بن الحسن الباروسي هو من قدماء مشايخ نيسابور في القرن الثالث الهجري -وكان أستاذًا لحمدون القصار (ت.٢٧١هـ/٨٨٥م)، شيخ الملامتية، ومنه انتشر مذهب الملامة- كان يفرق بين الزهد الحقيقي والزهد الكاذب أو بين الزهد الملامتي وغيره[١٢١] كالزهد لدى أصحاب ابن كرام؛ بهذا يكون قد نشأت فكرة إخفاء الورع ومحاولة أن يبدو المرء طبيعيًا في تصرفاته بقدر الإمكان، ومن هذه الفكرة استطاع تلميذ الباروسي، أعني حمدون القصار، خلق اتجاه تزهدي جديد، عُرف فيما بعد باتجاه جماعة الملامتية[١٢٢].

(ب)- يمثل هذا الإنكار من قِبل الباروسي على أصحاب ابن كرام نقدًا ذاتيًا؛ فقد كان ابن كرام وأصحابه يسيرون في البلاد يلبسون الجلد المدبوغ الممزق، وعلى رءوسهم القلانس البيضاء، يعظون في الأسواق،

(١١٧) المرجع السابق، ص٤٦.
(١١٨) انظر: نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٧٥.
(١١٩) انظر: المرجع السابق، ص٧٦.

(١٢٠) نفحات الأنس من حضرات القدس، ص١٩٣. الملامتية، ص٣٨.
(١٢١) انظر: أبو العلا عفيفي، الملامتية، ص٣٨.
(١٢٢) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٩٠٥/٢ وما بعدها.

فلمّا رأى الباروسي مظهرهم أنكره؛ لأنه رأى فيه معنى الرياء، ومن ثم طالب أن يكون الزهد زهد الباطن لا زهد الظاهر، وأن تكون الرغبة التي يدعونها في بواطنهم بادية على ظواهرهم[١٢٣] لدرجة أنه لخص حالهم بقوله: «من ظلمة الباطن ظاهرهم ظلماني»[١٢٤]، وفي «أغلب الأحيان كان معاصرو أتباع هذه الحركة يسخرون منهم بسبب شدة زهدهم، ناعتين إياهم بلقب "المتقشفة"»[١٢٥].

(ج)- جاء هذا النقد من أوساط البسطاء من سكان المدن، وقد لاقت آراء الباروسي هذا استحسانًا واسعًا في أوساط الحرفيين، الذين كانوا ينظرون إلى المتصوفة على اعتبارهم كسالى من الدرجة الأولى، فمن المعروف أن ابن كرام لم يعط رخصة العمل إلا في اقتضاء الضرورة[١٢٦].

وهناك فرق آخر بين الكرامية والملامتية: ففي حين بدا أن الكرامية راقت للطبقات الدنيا من المجتمع، فقد بدا أن الملامتية لقيت رواجًا بين الطبقات الحرفية الحضرية؛ حيث أتاحت لهم إمكانية العيش بتقوى دون التخلي عن العمل أو الحياة الاجتماعية[١٢٧]؛ فيذكر المستشرق الإنجليزي إدموند بوزورث Edmond Bosworth أن ابن كرام أخذ نشر آرائه في المناطق الريفية من خراسان، وكان

(١٢٣) انظر: أبو العلا عفيفي، الملامتية، ص٣٩.

(١٢٤) نفحات الأنس، ص١٩٣.

(١٢٥) نايل جرين، الصوفية نشأتها وتطورها، ص٧٥.

(١٢٦) انظر: جوزيف فان إس، علم الكلام والمجتمع، ٩٠٥/٢.

(١٢٧) انظر: نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ص٧٦-٧٧.

جل أتباعه من الحياكين وآخرين من الطبقة الأخرى الواطئة[١٢٨]. وهذا لا يمنع انتشار مبادئ المذهب الكرامي خارج الطبقات الدنيا، فربما عززته الاتصالات التجارية بين المدن، وهذا يدل على أن الكرامية وتعاليمها قد احتوت على مشوقات لطبقات أخرى غير الطبقات الدنيا[١٢٩].

الخاتمة:

تكمن جدوى هذا البحث في محاولة تلمس البواكير الأولى للجانب الصوفي عند مدرسة الكرامية وصلة ذلك بطائفة الملامتية، رغم ندرة البحوث المؤيدة لهذه الفرضية، وقد استطاع الباحث الوصول إلى عدد من النتائج، أهمها: أنه لم تكن سمة الزهد والتقشف مقصورة على محمد بن كرام مؤسس هذا المذهب فقط، وإنما عُرف جميع الكرامية بالمتقشفة بسبب ممارستهم للزهد، مما أسهم في تطوير وتنامي حركية الزهد والعرفان في نيسابور وما حولها، ومن المحتمل أن هذا الزهد والتقشف والوعظ كان سببًا في ذيوع المبادئ الكرامية، مما ساعد في التفاف الناس حول المذهب الكرامي؛ بالإضافة إلى ذلك، فمن الملامح العامة التي تجمع بين الصوفية والكرامية: إقامة الخانقات -وهي المؤسسة الصوفية الأشد تميزًا- في بلدان ومناطق عديدة، وأيضًا إقامة خوانق الذكر والتدريس؛ بالإضافة إلى التزام نمط معين من الملبس؛

(١٢٨) نشوء مذهب الكرامية في خراسان، ص٤٢.

(١٢٩) المرجع السابق، ص٤٥.

وهو لباس الصوف أزرق اللون؛ وهو عادة من عادات الصوفية.

ومن ناحية أخرى فإن اعتناق الكرامية مقالة ترك الكسب الدنيوي، وهي من أهم مبادئ التصوف الخراساني؛ لأنّ العمل يعوق العابد عن عبادته، فالعمل والكسب المادي عقبتان في طريق الوصول إلى الله، وهذا الرأي -فيما يبدو- متسق مع الفهم الحرفي وما يدينون به من رفض التأويل؛ لكن هذا الرأي تطور مع مرور الوقت فقد ألفينا الأستاذ أبا بكر بن محمشاذ رغم شهرته بالزهادة والترهب والتقشف، فكان ذا نفوذ سياسي وديني في العصر الغزنوي. ينضاف إلى ذلك أن السلطان ناصر الدين سبكتكين كان على صلة قوية به، واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظة الكرامية بعين الاحترام، وإيثار طوائفهم، ويدل ما وصلنا حول مسألة الولاية على أنّ قومًا من الكرامية يؤيدون المفاضلة بين الأنبياء والأولياء، وأنّ الولي يصل إلى حالة يفنى فيها عن نفسه ويبقى بالله، وهذه هي حال الولاية، وهي ليست حالا للأنبياء عليهم السلام.

وفي السياق ذاته اتفقت الكرامية في بداية نشأتها مع الملامتية في مسألة الانصراف عن المجتمع، واختلفتا في أنّ الكرامية راقت للطبقات الدنيا من المجتمع، بينما لاقت الملامتية رواجا بين الطبقات الحرفية-الحضرية، فعاشوا دون التخلي عن العمل. اعترضت الملامتية على الورع الشكلي الذي كان يظهر على الملابس البالية التي كان يرتديها الكرامية، بما يمثل نقدا داخليا لهم، وأنّ ظواهرهم ليست كبواطنهم.

البيبليوغرافيا:

أولًا المصادر والمراجع باللغة العربية:

١. إبراهيم، وائل أحمد، حضارة الدولة الغورية في المشرق الإسلامي(٥٤٣-٦١٢هـ)، القاهرة: بداية، ٢٠١٥م.

٢. الإسفراييني، أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، عرف الكتاب، وعلق حواشيه: محمد زاهد الكوثري، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، بدون تاريخ.

٣. بابائي، حبيب الله، جدلية النظر والعمل في التأسيس الإسلامي لإلهيات الحضارة، ترجمة: حسين صافي، بيروت: مرز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٤م.

٤. بوزورث، ادموند، نشوء مذهب الكرامية في خراسان، ترجمة: عواد مجيد الأعظمي.

٥. التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، القاهرة: دار الثقافة، ط٣، ١٩٧٩م.

٦. الجامي، عبد الرحمن، نفحات الأنس من حضرات القدس، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠م.

٧. جرين، نايل، الصوفية نشأتها وتاريخها، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م.

٨. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، جمع وتحقيق: مازن بن عبد الرحمن، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ.

٩. الحسيني، عبد المحسن، المعرفة عند الحكيم الترمذي، القاهرة: دار الكاتب العربي، بدون تاريخ.

١٠. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، القاهرة: المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

١١. السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١/١٩٦٤م.

١٢. ابن أبي سعيد، محمد بن المنور، أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد، ترجمة وتقديم: د. إسعاد قنديل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م.

١٣. السلمي: أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢/ ٢٠٠٣م.

١٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٠م.

١٥. العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار اليميني، تحقيق: إحسان ذنون عبد اللطيف، بيروت: دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦. عفيفي، أبو العلا، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

١٧. ــــــــــ، الملامتية والصوفية، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م.

١٨. الفارسي، أبو الحسن عبد الغفار، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م.

١٩. فان اس، جوزيف، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ترجمة: محيي الدين جمال بدر، رضا حامد قطب، مراجعة وتقديم: محسن الدمرداش، بيروت: دار الجمل، ٢٠١٦م.

٢٠. أبو ليل أمين سعيد، مخطوطات التصوف في فلسطين: دراسة ببليوغرافية، الأردن: مكتبة المنار، ط١/١٩٨٨م.

٢١. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية: محمد

عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

٢٢. المحاسبي، الحارث بن أسد، المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٧.

٢٣. محمود، عبد القادر، الفلسفة الصوفية في الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦٧م.

٢٤. مختار، سهير، التجسيم عند المسلمين: مذهب الكرامية، شركة الإسكندرية للطباعة، ١٩٧١م.

٢٥. المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٠م.

٢٦. النسفي (نجم الدين عمر بن محمد)، القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق: يوسف الهادي، طهران: آينه ميراث، ط١، ١٩٩١م.

٢٧. الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد قنديل، القاهرة: ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٥م.

ثانيا- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. Louis Massignon, Essay on the origins of the Technical Language of Islamic Mysticism, translated from French by Benjamin Clark, University Of Notre Dame Press, 1997.

٢. شفيعيون، سعيد، احمد حرب اصفهاني نيشابوري، (تحقيقي دربارة احوال واقوال يكي از صوفي زاهدان قرن سوم هجري)، مطالعات عرفاني (مجله علمي پژوهشي) دانشكده علوم انساني دانشگاه كاشان، شماره دهم، پاييز وزمستان ٨٨.

٣. مادلونغ، ويلفرد، فرقه هاي اسلامي، ترجمة: أبو القاسم سري، تهران: أساطير، ١٣٧٧ه.

ثالثا- المجلات والدوريات:

١. نايف، دياب، موقف إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي من الفقر وكسب الرزق، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢٥، ع٢، ١٩٩٨م.